

## بناء الممالك

درس في حياة الدكتور بينس وأعماله

(تألف جمهورية تشكوسلوفاكيا (وطن الدكتور بينس Hanes) من خمس مقاطعات هي بوهيميا وموراڤيا وسيليزيا وسلوفاكيا ورونييا ومساحتها معا ١٤٢ ٥٧٥ كيلومتراً مربعاً وسكانها نحو ١٤ مليوناً وهم مزيج من عناصر مختلفة أكبرها عنصر التشك وعدده سبعة ملايين ثم عنصر السلوفاك وعدده نحو ثلاثة ملايين . وللتشك تاريخ مجيد في العلم والفلسفة والآداب

وأبلاد يحدها النمسا والمجر ورومانيا جنوباً وبولونيا والمانيا شمالاً وهي غنية بمخاصلها الزراعية والمدنية والصناعية . فقد بلغت الأراضي الزراعية فيها نحو ١٧ مليون فدان سنة ١٩٢١ وفيها من الغابات مساحة نحو مليون فدان ودها تعامل كثيرة لصنع الورق والحزف الصيني والزجاج واصناف الأثاث وخصوصاً كراسي الحيزان ونسج القطن والصوف والكتان وصنع الأدوات المعدنية كالنايب والمسامير والقووس والحجارف والفاطرات وأنواع الآتوموبيلات للركوب والنقل والحراثة

ولا يعلم تماماً متى جاء التشك إلى بوهيميا واستوطنوها لكن علماء التشك يرجحون أن بعض القبائل التشكية كان يقطن بوهيميا قبل المسيح بخمسمائة سنة كلمة مستقلة . وفي القرن الخامس عشر اتخذت الأمة التشكية اميراً من بيت هابسبرج ملكاً عليها لكن آل هابسبرج لم يعاملوها بالحنى فنارت عليهم في أوائل القرن السابع عشر ولكن ثورتها اخذت

أما تاريخ تشكوسلوفاكيا بعد انفصالها عن النمسا فظاهر في الكلام على الدكتور بينس واستاذو الرئيس ماسرك وزملائهما منمخاضاً عن مقالة للمستتر لوكهارت في القورنتيتلي رقيو ولا غرو فتاريخ كل أمة إنما هو تاريخ نوابها)

من الامور المشاهدة في التاريخ أن الحروب الكبيرة تعقبها غالباً سنوات من مرارة الفشل وخيبة الأمل تشترك فيها الأمم الغالبة والأمم المفلوبة . فلا تكاد نجو ثورة المواطنين الوطنية التي ولدتها الحرب حتى يأخذها الناس يندر كون أمة الثروة الظالمة التي بُدّدت في الحرب لا يستطيع جمعها إلا في سنوات كثيرة من العمل

التواضع والجهد الكبير فنقوم فيهم بزرعة قوية لانقاذ النظام العمرائي الذي يكتنفهم  
وخصوصاً ما استجد فيهم وما يقوم عليه من اتفاقات ومعاهدات. فيعطي الرأي العام  
بعض الرجال الذين كانوا بالامس اسياً منسياً ويضع الـ الحضيض القادة والزعماء  
الذين كانوا يحسبون من قبل بين الخالدين ولا تشد حالة العالم الحاضرة عن هذه  
القاعدة التاريخية. فالرئيس واسن هبط من اوج المجد بين ليلة وضحاها وكثيرون  
من القواد الذين كان يعدون اثناء الحرب بين النوايح العظام اصبحت مقدرتهم  
موضوعاً للظن. وما على الباحث الا المرور في برلين ومونيخ ليفق على الرأي الذي  
براهه الالمان في لودندورف وزملائه فكثيرون من الالمان يضعون قوادهم موضع  
القوم في انكارهم الاخير. على ان اكبر مثال لتقص مجد الرجال في هذا العصر هو  
هبوط لويد جورج الذي هوى الآن كثير من مراكز الالهة الى مقاعد البرقان  
العادية ذلك الهبوط الذي ادهش حتى اعداءه

لذئذ اذا بحثنا في اوروبا الآن لا نجد فيها اكثر من عشرة رجال او اثني عشر  
رجلاً من الذين اضاعوا شهرة جديدة الى شهرتهم او رفعوا تقديراً مقاماً سامياً بعد  
ان كانوا قبيل الحرب لا يعرف بهم أحد. ومن هؤلاء رجل لم يكن معروفاً قبل  
الحرب الكبرى وهو الآن رئيس وزراء جمهورية صغيرة لا تكاد تذكر مرة في  
التعريفات كما ذكرت احدى الدول الكبيرة مراراً وهو الدكتور ادورد بينس Benes  
الذي بنى له في السنوات الخمس بعد الحرب الكبرى مقاماً رفيعاً ونال شهرة بعيدة هو  
جدير بها. فما هي مميزات هذا الاستاذ التشيكي القصير القامة الحديث السن ولكنة  
بييد النظر غزير الحكمة وما هي الصفات التي جعلت من اسمه في الشهور الاخيرة  
علماً مشهوراً في الاندية السياسية؟ ما هي المصدرة الفاتحة التي استطاع بها ان  
يستولي على رجال اكبر منه سناً رجال يمثلون دولاً كبيرة قوية لا تحسب دولته  
في جانبها شيئاً؟

١

ولد الدكتور ادورد بينس في ٢٨ مايو (ايار) سنة ١٨٨٤ في بلدة بيوهيميا  
كان ابوه فلاحاً فيها. ولم يكن والده في سعة من العيش تمكنه من تعليمه  
التعليم الكافي لكنة كان كسائر الشعب التشيكي غيراً على تعليم ابنائه وتلك القوة  
حفظت اللغة التشيكية من الاندثار مدة ثلاثمائة سنة فبدل ما في وسعه وارسل ابنة

الى المدرسة العالمية ثم الى الجامعة التشكية في براغ وكانت استاذة فيها ماسرند (رئيس الجمهورية التشكية الآن) فنشأت بينهما علاقة ودية لا تزال اواصرها شديدة الى الآن ويعود اليها كثير من نجاح بينس الاول في ميدان السياسة كما سيجيء . ولما اكمل دروس السنة الاولى في الجامعة اشار عليه استاذة ان يذهب الى فرنسا ليتم دروسه في جامعاتها فذهب الى باريس سنة ١٩٠٥ وهو لا يملك سوى نفقات السفر منحة اياها جمعية لتعليم الشبان في براغ . على انه اقع محرر احدي الجرائد التشكية في براغ ان في استطاعته مراسلة جريدته من باريس فاستطاع بذلك ان يقرم بمبشته . وقضى في باريس سنتين يحضر دروساً في مدرسة السوربون وفي اكدمية العلوم السياسية . وكانت حياته هناك كثيرة المصاعب والمشاق لكنه استناد منها اذ راض نفسه على تحملها وتذليلها وذلك ما يجعله الآن من اقدر الرجال على العمل المتواصل دون ان يني او يكل

كان اجتماعه الاول بالاستاذ ماسرك قد حرك في نفسه العاطفة الوطنية ودفق فيه حب العمل لتحرير شعبه من نير التمسوين فجعل يستعد لذلك العمل الكبير . وبعد ان درس ثلاث سنوات في فرنسا منح لقب دكتور في الشرائع سنة ١٩٠٨ من جامعة ديجون وكان موضوع رسالته المسألة القومية والمسألة التشكية — وهي بحث في الامم الصقلية في النمسا ومنازعتها السياسية . وسافر تلك السنة الى لندن وجعل يدرس فيها اللغة الانكليزية وينوسع في علم الاجتماع (السيولوجيا) وعاد الى براغ في اواخر ١٩٠٨ فمخ لقب دكتور في الفلسفة من جامعة براغ وانتهت بذلك حياته كطالب وصار في عداد الاساتذة اذ عين استاذاً لعلم الاقتصاد في المعهد التجاري التشكي سنة ١٩٠٩ ثم محاضراً في علم الاجتماع في جامعة براغ سنة ١٩١٢ . واكثر من الكتابة في اشهر المجلات والجرائد التشكية في مواضع كثيرة تختلف بين موضوع « المرأة الفرنسية » وموضوع رجال الاكلبوس الذين حاربهم هو وسائر الاساتذة بكل ما اوتيهم من عزم وقوة . ولكنه مع تعدد اشغاله وتوسعها لم ينقل عن العناية الكبرى التي وقف حياته لها بل كانت دائماً يستعد ليوم رأى ان لا بد من مجيء

جاء ذلك اليوم في شهر يوليو سنة ١٩١٤ . كان الليل المظلم في حياة بينس وشعبه قد أخذ ينقش عن فجر باهر فرأى انه قد جاء يومه المنتظر . لكن الامة

التشكية كانت في موقف حرج جداً . ففي الأيام الأولى من الحرب الكبرى استوفى الألمان على لياج وانقرس وانشصروا في الموزر وكانت خيوسهم عملة بمخمره النصر تسير من معركة الى اخرى والنصر حليفها واصبح الشاك حلف اوري متوسط النفوذ فيه لالمانيا قريب التحفيق . فبنت الحكومة النموية البيون والارصاد تراقب زعماء التشك مراقبة شديدة . امامهم فكانوا في حيرة وارتابك فاذا انتصرت الالمانيا وحلفاؤها كانت العاقبة عليهم وبالالاتهم كانوا همون بالانتفاض على النمسا واذا كان النصر حليف الحلفاء فمن الواجب الاسراع في وضع خطة سياسية رشيدة يستلطفون اليها نظر الساسة من الحلفاء حين يبعد الصلح . خفقت قلوب التشكيين منهم بالامل والرجاء ولكنهم آثروا التريص والانتظار ليروا عما ينكشف لهم وجه الحرب النموي . لكن بينس لم يتردد ولم يرتبك . كان شعاره « سر على المتصاعب الى المجد » فحرض المرائك السياسي بكل ما في نفسه الفتيمة من العزم والاقدم غير مكترث لما يخف به من المخاطر الجيمة . وكان في تشكوسلوا كما جميعا سياسية سرية فانتظم فيها وصار من كبار اعضاءها العاملين وجازف بحياته مرتين في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ اذ سافر الى سويسرا للمفاوضة مع الاستاذ منسرك فكان صلة بين ذلك الاستاذ البعيد عن وطنه وسائر الزعماء المتخالفين في بلادهم . واضطر اخيراً ان يغادر بوهميا في ليلة ظلماء من ليالي سبتمبر سنة ١٩١٥ والبوليس النموي في اثره للقبض عليه لكنه نجح وجاء باريس

جاءها اولاً طالباً للعلم وجاءها الآن بعد عشر سنوات مضت مندوباً عن امة يجاهد في سبيل استقلالها ليتولى الدفاع عن قضيتها . وانه ليصعب كثيراً ان ندرك الآن ما كان عليه عمله من الصعوبة في بادىء الامر لان اكثر السياسيين والصحافيين لم يكونوا يعلمون ما هي الامة التشكية ولا ادركوا ما يكون لها من الاثر في الحرب اذا هي انضمت الى الحلفاء . والسبب في ذلك ان جميع الاقنار كانت متجهة آنذاك الى ميدان الحرب الغربي حيث يقرر مصير الدول المتحاربة . فمن هو هذا السياسي الشاب الذي يجبراً في ساعة من اشد ساعات الحرب هولاً وظلمة ان يقرح الابواب طالباً للدخول الى مجالس الحلفاء حيث القواد اليائسون والساسة المضعفون ؟ ومضت عليه شهور طويلة من الانتظار الملل لكن عزيمة وثباته ذلك لكل صعوبة قامت في وجهه فوجد انصاراً له في الاستاذ دانس الفرنسي والدكتور سين

وطسن والمسفر وكهام ستيدي محرر التيمس تَئيدَ فَاخذُوا بيدِهِ ومهدوا لِرِعماءِ التشك  
الذيل لدخول مجالس الحلفاء العليا حيث بسطوا قضيتهم. وبعد ذلك تسنى للاستاذ  
ماسرك زعيم التشك الاكبر ان يقابل المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية يومئذ  
فكانت مقابلة ودية اسفرت عن وعد المسيو بريان له باسم الحكومة الفرنسية ان  
يعد يد المساعدة الفعلية للامة التشكية. فتألف بعد ذلك المجلس التشكي الوطني وعيّن  
الدكتور بينس سكرتيراً له

اما وقد تم لينس ذلك فارحف قلته للعمل. كانت معارك الصوم قد انتهت بفشل  
الحلفاء او عدم انتصارهم الانتصار الذي كانوا يؤملونه. وما ولدته تلك المعارك من  
الامل بانهاء الحرب في مدة وجيزة اخذ بزول وبدا لجميع الواقفين على حقائق الامور  
ان نهاية الحرب بعيدة— في تلك الحالة ظهر كتاب في باريس فاستلقت نظر الساسة  
المتحالفين وموضوعه « اخربوا النمسا » فكان تأليف ذلك الكتاب خطوة كبيرة  
خطاها هذا الاستاذ التشكي الشاب نحو تحقيق احلامه بانشاء دولة تشكية مستقلة .  
قال في ذلك الكتاب للحلفاء ما خلاصته « يجب ان تحربوا النمسا وتبيضوا اجنتها  
فتلك سبيلكم الاولي لتصر الاكيد . اطعنوا المانيا في اضعف مقاتلها واتهموا  
الشعوب الصغلية المستعبدة في اوربا الوسطى . اقيموا حاجزاً بين المانيا وحلفائهما  
من دول صغيرة مستقلة واصلوا بين المانيا وبين بلغاريا وتركيا فيعيد الحلم بانشاء  
الامبراطورية التوتونية كايبيد الدخان في العاصفة ». كانت تلك الخطة رشيدة في وضعها  
مناسبة للزمن الذي ظهرت فيه فاقبل عليها ساسة الحلفاء كاداة جديدة للالتصار على  
المانيا وللحال زالت المصاعب التي كان يلاقيها الزعماء التشكيون في سبيل قضيتهم .  
وانقضى دور الكلام وعقبه دور العمل فتألفت فرق كثيرة من متطوعة (١) التشك  
في فرنسا وابطاليا وروسيا وانشأت محارب جنياً الى جنب مع جيوش الحلفاء وفي  
سنة ١٩١٧ اعترف الحلفاء بالمجلس الوطني التشكي اعترافاً رسمياً

ودعا الدكتور بينس في اوائل سنة ١٩١٨ مؤمراً للشعوب المستعبدة في اوربا  
الوسطى . اتأم هذا المؤعر في رومية وافتتحه السنيور اورلندو رئيس الوزارة

(١) جاء في دائرة المرف البريطانية ان جنود التشك الذين حاربوا مع المظله زاد عددهم  
على مائة الف في اواخر الحرب

الاطالنية جينيف وتلاه الدكتور بينس على انه ما كاد يفهم وعشي الى دكة الخطابة حتى وقت جميع الحاضرين اجلالاً لجهاده وجلواهم تقفون له وتشكولوا كيا . من يستطيع ان يتصور تلك الموجة الهائلة من العواطف الوطنية التي اكتسحت ذلك المؤتمر ا شعوب حُرمت في عداد الاموات مئات من الاعوام اخذت نزع آمالها الوطنية قريبة التحقيق

على ان الدكتور بينس لم تبدُ عليه علامات التهيج والافعال بل قرأ خطابه قراءة بصوت حل فابان فيه ما اشهر به من رجاحة الفكر ومحبة الفياس وبلاغة التعبير الصفات التي اكتسبت له شهرة واسعة فلقبه الايطاليون بكافور (٢) تشكولوا كيا وقال عنه المعارفون انه ارجح انسياسيين حكماً في اوربا الوسطى او في اوربا كلها وحيما انتهى من خطابه هتف له الحاضرون كثيراً اعترافاً بانه قوة جديدة قامت بينهم تسدد خطواتهم الى المنهج القويم

وكانت نتيجة هذا المؤتمر ان الحكومة الايطالية اعترفت باستقلال تشكولوا كيا وفي ٩ اغسطس ١٩١٨ اعترف الحلفاء بالمجلس الوطني التشكي ممثلاً قانونياً للحكومة التشكولوا كية العتيدة . وهكذا استطاع ذلك الفتى الذي كان طالباً ككازر الطلبة قبل عشر سنوات ان يكون دولة من فكرة وطنية مديجة بغير سلاح سوى نشاطه وعزيمته ووطنيته وعليه . على انه يجب الاتسى الاستاذ مامرك في هذا الجهاد الوطني . انه ادرك ما لتلك الحرب من الشان في استقلال امته قبل الدكتور بينس وما طبع عليه من بعد النظر ودمانة الاخلاق وانكار الذات جعل من تلاميذه وانباعه قوة لا يستهان بها . ففكره كان الفكر الذي نظم الحركة وسيرها ولكن السيف الذي فتح امامها سبيل التحقيق كان سمي بينس . واعترافاً بمجدها هذه اتخبت الاستاذ مامرك رئيساً للجمهورية التشكولوا كية والدكتور بينس وزيراً لخارجيتها فاستلم هذا مقاليد منصبه وهو اصغر الوزراء سناً في الصور الحديثة وسياقي الكلام في الجزء القادم على خلاصة اعماله بعد توليه هذا المنصب الخطير

(٢) الكونت دي كافور اكبر الساسة الطليال في القرن التاسع عشر الذي تمت على يديه وحدة ايطاليا السابية بمد ان كانت مقاطعات وولايات مستقلة يتنافس بعضها مع بعض للزعامة . ولد سنة